

﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: 10 - 11]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا كَانَتْ أَحْوَالُ الدُّنْيَا غَيْرَ بَاقِيَةٍ، بَلْ هِيَ أَبَدًا فِي التَّغْيِيرِ وَالزَّوَالِ وَالتَّحَوُّلِ، وَفِيهَا يَكُونُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِمْتِحَانُ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَةَ الْإِنْسَانِ إِذْ تَأْتِيهِ النِّعْمَةُ وَلَمْ يَسْبِقْهَا الضَّرُّ فَيَكُونُ يَوْسًا كَفُورًا، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ ذِكْرَ حَالِهِ إِذَا جَاءَتْهُ النِّعْمَةُ بَعْدَ الضَّرِّ فَيَكُونُ فَرِحًا فَخُورًا، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَذْمُومٌ، ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْهُمُ الَّذِينَ رَدَّتْهُمْ الشَّرَائِعُ وَالْإِيمَانُ إِلَى الصَّبْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ⁽¹⁾.

تَنَوُّعُ حَالِ
الْكَافِرِينَ عِنْدَ
حُصُولِ النِّعْمَةِ
وَزَوَالِهَا،
وَلَا يَفُوزُ إِلَّا
الصَّابِرُونَ
الصَّالِحُونَ

وَأَيْضًا لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْكَافِرَ عِنْدَ الْبَلَاءِ لَا يَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَعِنْدَ الْفَوْزِ بِالنِّعْمَةِ لَا يَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ، ثُمَّ لَمَّا قَرَّرَ ذَلِكَ قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لِلْإِذَانِ بِأَنَّهُمْ عِنْدَ الْبَلَاءِ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَعِنْدَ الرَّاحَةِ وَالْخَيْرِ مِنَ الشَّاكِرِينَ⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نِعْمَاءَ﴾: النِّعْمَةُ الْحَالَةُ الْحَسَنَةُ وَنِصَارَةُ الْعَيْشِ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَجَاهٍ وَعِلْمٍ وَصِحَّةٍ وَخَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ خَاصَّةٍ، وَتُقَالُ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَيُقَالُ امْرَأَةً نَاعِمَةً وَمُنْعَمَةً حَسَنَةُ الْعَيْشِ وَالْغِذَاءِ مُتَرَفَّةٌ، وَالتَّنْعُمُ: التَّرَفُّهُ، وَالنِّعْمَاءُ إِنْعَامٌ يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى صَاحِبِهِ؛ لِأَنَّهَا أُخْرِجَتْ

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 6/127.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/323.

مَخْرَجِ الْأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ نَحْو: حَمْرَاءَ وَسَوْدَاءَ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعْمَاءِ، وَيَأْتِي لَفْظُ النَّعْمَاءِ بِإِزَاءِ الضَّرَاءِ⁽¹⁾.

(2) ﴿ضَرَاءٌ﴾: الضَّرُّ ضِدُّ النَّفْعِ، وَهُوَ سُوءُ الْحَالِ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ سُوءِ حَالٍ وَفَقْرٍ فِي بَدَنِ فَهُوَ ضَرٌّ، وَمَا كَانَ ضِدًّا لِلنَّفْعِ فَهُوَ ضَرٌّ، وَالضَّرَاءُ: مَضْرَّةٌ يَظْهَرُ أَثَرُهَا عَلَى مَنْ أَصِيبَ بِهَا، وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُ الضَّرَاءِ فِيمَا يَخْصُ الْبَدَنَ، فَكَلِمَةُ ضَرَاءٍ بِإِزَاءِ نَعْمَاءٍ فِي أَنَّهَا أُخْرِجَتْ مَخْرَجَ الْأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ نَحْو: حَمْرَاءَ، كَمَا تَقَدَّمَ⁽²⁾.

(3) ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: السُّوءُ هُوَ كُلُّ مَا يَغُمُّ الْإِنْسَانَ، وَيَكْرَهُهُ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، وَمِنْ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْبَدَنِيَّةِ، وَالْخَارِجَةِ، مِنْ قَوَاتِ مَالٍ، وَجَاهٍ، وَفَقْدِ حَمِيمٍ، وَمَصِيبَةٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ: سَاءَنِي كَذَا، وَأَسَأَتْ إِلَيَّ فُلَانٌ، وَتَطَلَّقَ السَّيِّئَةُ بِاعْتِبَارِ الشَّرْعِ، فَتَكُونُ بِمَعْنَى الْخَطِيئَةِ، وَبِاعْتِبَارِ الطَّبْعِ، أَي: مِمَّا يَغُمُّ الْإِنْسَانَ مِنْ ضُرٍّ وَفَقْرٍ وَنَحْوِهِمَا، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالسَّيِّئَاتِ هُنَا⁽³⁾.

(4) ﴿فَخُورٌ﴾: يَدُورُ مَعْنَى الْفَخْرِ عَلَى الْمُبَاهَاةِ أَمَامَ النَّاسِ فِي الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْإِنْسَانِ كَالْمَالِ وَالْجَاهِ بَعْدَهَا عَلَى جِهَةِ تَعْظِيمِهَا، وَيُعْبَرُ عَنْ كُلِّ نَفِيسٍ بِالْفَاخِرِ، فَيُقَالُ: ثَوْبٌ فَاخِرٌ، وَنَاقَةٌ فَخُورٌ: عَظِيمَةُ الضَّرْعِ، كَثِيرَةُ الدَّرِّ، وَأَصْلُ الْفَخْرِ عِظَمُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: نَخْلَةٌ فَخُورٌ: عَظِيمَةُ الْجَذَعِ غَلِيظَةُ السَّعْفِ، وَالتَّفَخُّرُ: التَّعَظُّمُ، وَالتَّفَاخُرُ: التَّعَاضُّمُ، وَالْفَخْرُ - بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالتَّحْرِيكِ - : التَّمَدُّحُ بِالْخِصَالِ، وَعَدُّهَا لِتَعْظِيمِ الْقَدْرِ وَتَكْثِيرِ الْمَآثِرِ. وَالْفَخْرُ يُجْرُ إِلَى الْعُجْبِ وَالتَّطَاوُلِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ. وَمَعْنَى ﴿فَخُورٌ﴾ فِي الْآيَةِ: الْمَتَطَاوُلُ عَلَى النَّاسِ، الْمَتَبَاهِي عَلَيْهِمْ، بِتَعْدِيدِ مَآثِرِهِ⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وَلَبِّنْ مَنْحَنَا هَذَا الْإِنْسَانَ النَّعْمَ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُهَا مِنَ الرِّزْقِ وَالصَّحَّةِ وَرَخَاءِ الْعَيْشِ وَغَيْرِهَا بَعْدَ ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ كَانَ فِيهِ، لَيَقُولَنَّ عِنْدَ ذَلِكَ: ذَهَبَ الضِّيقُ وَالْعُسْرَةُ عَنِّي،

(1) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، لِلْفُرْدَاتِ: (نعم)، وَالوَاحِدِيُّ: التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 11/360، وَابْنُ عَادِلٍ، اللَّبَابُ: 10/444.

(2) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، لِلْفُرْدَاتِ: (ضر)، وَالوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 11/360، وَابْنُ عَادِلٍ، اللَّبَابُ: 10/444.

(3) الزَّاعِبُ، لِلْفُرْدَاتِ، وَجِبِل، الْعُجْمُ الْإِشْتِقَاقِيُّ لِلْمُضَلِّ: (سوأ)، وَالوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 2/566.

(4) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، لِلْفُرْدَاتِ: (فخر)، وَالسَّمْعَانِيُّ، تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ: 2/416.

وَزَالَتْ السَّدَائِدُ وَالْمَكَارُهُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَطِرٌ بِالنَّعَمِ، مُبَالِغٌ فِي الْفَخْرِ
بِهَا وَالتَّعَالِي بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَقَابِلُ النَّعَمَ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا، لَكِنَّ
الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الضَّرَاءِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَاحْتِسَابًا
لِلْأَجْرِ عِنْدَهُ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، هَؤُلَاءِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ لِدُنُوبِهِمْ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمَلُوهَا
فِي دَارِ الدُّنْيَا⁽¹⁾.

الإنسان قد
يتحوّل من
النّعمة إلى
الحنة فيصبر،
وإمّا بالعكس
فيشكر ويؤجر

❖ الإيضاح اللّغويّ والبلاغيّ:

دلالة الواو على العطف في: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ﴾:

جاءت الواو عاطفةً ما بعدها على ما قبلها عطفٌ تتميمٌ للتي
قبلها؛ لأنها حكّت حالةً ضدّ الحالة التي قبلها.

الغرض من التعبير بأسلوب القسم المقترن بالشرط:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، جاء فيه التعبير بأسلوب القسم المقترن بالشرط،
تأكيداً على وقوع مضمون جملة الشرط وجواب القسم؛ لأنّ الخالق
بخلقه عليمٌ بما تكون عليه تقلّبات أحوالهم.

دلالة تنابع التأكيد:

تنابع التأكيد في جملة الشرط والجزاء في الآية، فورد تأكيد
الجملة باللّام الموطئة للقسم على معنى (والله إن) في: ﴿وَلَيْنَ﴾،
وباللّام الواقعة في جواب القسم في: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾؛
لقصد تحقيق مضمون الجملة؛ للإيذان بأنّ هذا الأمر حقيقة ثابتة،
لا مُبالغة فيها، ولا تغليب، كما كان ذكر القسم الأوّل في الآية السابقة
على وقفه ونهجه، فيكون بمثابة الرّدّ على كلّ من يُنكر أن يكون طبعه
كذلك، فيكون الكلام على طريقة الخبر الإنكاري أيضاً⁽²⁾.

المقابلة بين
حالات الإنسان
كاشفة عن
تقلّبه

تأكيد ما سيقع،
وما سيكون،
آية على كونه
العليم بأحوال
خلقه

سوء طبع
الإنسان حقيقة
ثابتة، لا تغيير
لها على المدى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/256، والبغوي، معالم التنزيل: 2/441، ونخبة من أساتذة التفسير،
التفسير المبسّر، ص: 222.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 4/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/13.

الإنسان يحب
اللذة والتَّعَمُّ
بطبعه

نكتة المخالفة في التعبير بين هذه الآية والتي قبلها:

لما ذَكَرَ اللهُ تعالى في الآية السابقة تحوُّل النعمة إلى الشدة، فقال: ﴿وَلَيْنَ أَذُقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا﴾، وكانت هذه الآية في بيان العكس: ﴿وَلَيْنَ أَذُقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ كان الظاهر أن يذكر تحوُّل الشدة إلى النعمة، فيقدِّم مسَّ الضرِّ على ذوق النعماء، ولكن خولف في التعبير بينهما، ولم يكونا على نسيج واحد، حيثُ بُدِئَ في الأوَّل بإعطاء النعمة وإيصال الرحمة، ولم يبدَأ في الثاني بإيصال الضرِّ على نمطه؛ تنبيهاً على سبق الرحمة على الغضب، واعتناءً بشأنها، وللتنبية على أن الإنسان بطبعه يحب اللذة والتَّعَمُّ، ولموافقة النظم في الآيتين في البدء بالإذافة⁽¹⁾.

بلغة مجيء الشرط مُصدراً بالأداة ﴿وَلَيْنَ﴾:

توبيخ من يعتقد
أنَّ النعم من
سعيه، لا من
إنعام الله عليه،
فلا يشغل
بشكرها

أفاد التعبير بـ ﴿وَلَيْنَ﴾ الشرطيَّة التي للشك أن فرح الإنسان وتعاليه بين الناس ممَّا ينبغي أن لا يقع إلا على مُجرِّد الفرض والتقدير كما تفرض المحالات؛ لاشتمال المقام على ما يزيله من أصله، وهو أن إذافة النعماء بعد ضراء مسَّتْهُ، إنما هو للاختبار والامتحان؛ ليظهر لكم أيُّكم أحسنُ عملاً، ففي مجيء الشرط مُصدراً بـ ﴿وَلَيْنَ﴾ توبيخ لمن يعتقد أن النعم التي هو فيها من سعيه وجده وجهده، ولا يعتقد أنها من إنعام الله عليه، فلا يشغل بشكرها⁽²⁾. كما أفاد التعبير بكلمة الشك ﴿وَلَيْنَ﴾ أن إذافة النعماء بعد الضراء؛ أي: من حيث وقوعها في نفس الأمر تحتل أن تقع في المستقبل، وأن لا تقع⁽³⁾.

(1) الألويسي، روح المعاني: 6/216.

(2) التفناني، الطول، ص: 321.

(3) القنوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 10/31.

دلالة التعبير بالاستعارة بـ ﴿أَذَقْنَهُ نِعْمَاءَ﴾:

جاءَ لفظُ ﴿أَذَقْنَهُ﴾ على الاستعارةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ، بتشبيهِ الإِعْطَاءِ المُشْتَمِلِ على إدراكِ أثرِ النِّعْمَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَلْبَسِ وَالصَّحَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْمَحْسُوسَاتِ، بحيثُ يجدُ لذَّتَها بذوقٍ ما يُؤْكَلُ ممَّا يُشْتَهَى وَيُرْغَبُ فيه، ووجهُ الشَّبهِ تحصيلُ الشَّيْءِ والانتفاعُ بهِ على وجهِ حصولِ تمامِ المقصودِ منه، فإنَّ وجدانَ اللَّذَّةِ كما يَتَرْتَّبُ على الإِذَاقَةِ يَتَرْتَّبُ على الإِعْطَاءِ المذكورِ، فأفادَ التَّعبِيرُ بلفظِ الإِذَاقَةِ إعطاءَ النِّعْمَةِ مِنْ صِحَّةٍ وَأَمْنٍ وَجِدَةٍ وَغَيْرِهَا، وإيصالها إليه، فينتفعُ مِنْ كُلِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ النِّعَمِ تَمَامَ الانتفاعِ، بحيثُ يجدُ فائدَتَهُ ولذَّتَهُ منه⁽¹⁾.

إِفَادَةُ لَفْظِ
الإِذَاقَةِ مَعْنَى
إِعْطَاءِ النِّعْمَةِ
وَإِيصَالِهَا ثُمَّ
وَجِدَانِ فَائِدَتِهَا

فائدةٌ مجيء الضمير في: ﴿أَذَقْنَهُ﴾:

جاءَ الكلامُ على مُقتَضَى الظَّاهِرِ فَذَكَرَ الضَّمِيرُ العَائِدُ على الإنسانِ لِقَرَبِ ذِكْرِهِ، ولم يَأْتِ بِالاسمِ الظَّاهِرِ؛ أي: لم يَقُلْ: (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسانَ نِعْمَاءَ)، وفائدَتُهُ: تَثْبِيْتُ المَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَ في ذَهَنِ السَّامِعِ، فَالكَلَامُ على الإنسانِ نَفْسِهِ في بَيَانِ الحَالَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تَصِيبُهُ، وَلَمَّا عَادَ الضَّمِيرُ على الإنسانِ الَّذِي ذُكِرَتْ أوصافُهُ في الآيَةِ السَّابِقَةِ دَلَّ على أَنَّ ذَلكَ الإنسانَ الَّذِي هو يُوؤِسُ كُفُورًا عِنْدَمَا تُنْتَزَعُ مِنْهُ الرِّحْمَةُ بَعْدَ أَنْ نُذِيقَهُ إِيَّاهَا، هو نَفْسُهُ فَرِحَ فُخُورًا عِنْدَمَا نُذِيقَهُ النِّعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءِ مَسَّتِهِ؛ لِلتَّعْجِيبِ مِنْهُ في الحَالَتَيْنِ، وتَوَيُّخِهِ على عَدَمِ صَبْرِهِ؛ لِاتِّصَافِهِ بِكَثْرَةِ اليَأْسِ، وكُفْرِ النِّعْمَةِ، وعلى عَدَمِ شُكْرِهِ بِالْبَطَرِ والتَّبَاهِي بَيْنَ النَّاسِ.

اليُؤُوسُ الكُفُورُ
فَرِحَ فُخُورًا، عِنْدَ
إِذَاقَتِهِ النِّعْمَاءِ
بَعْدَ ضُرَاءِ مَسَّتِهِ

دلالة التعبير بـ ﴿نِعْمَاءَ﴾ و﴿ضُرَاءَ﴾:

لم يَقُلْ: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضُرٍّ مَسَّهُ)؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ المَقَامُ مَقَامَ إظهارِ الشُّكْرِ على نِعْمِهِ ﷻ على الإنسانِ، ذَكَرَ لَفْظَ ﴿نِعْمَاءَ﴾ الَّذِي هو بِمعْنَى النِّعْمَةِ الَّتِي يَظْهَرُ أثرُها على صاحبِها؛ أي: على

ظُهُورِ النِّعْمَةِ
على الإنسانِ
بَعْدَ ضُرٍّ مَسَّهُ،
أَوْجِبَ لِشُكْرِ
الرَّحْمَنِ

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/153.

بدنيه وحالهِ، بإزاء لفظِ ﴿ضَرَاءَ﴾ الذي هو بمعنى مَضَرَّةٍ يَظْهَرُ أثرُها على صاحبِها؛ أي: على بدنيه وحالهِ؛ للإشعارِ بأنَّ ظهورَ الحالةِ الحسنةِ على الإنسانِ بعدَ ظهورِ الحالةِ السيِّئةِ عليه، كصحةٍ ظاهرةٍ بعدَ سَقَمٍ مُضَرٍّ ببدنيه، وغنىٍ ظاهرٍ بعدَ عُدَمٍ يَظْهَرُ أثرُ السيِّئِ على بدنيه وحالهِ - أوجبَ لحقَّ الشُّكْرِ لله تعالى وأوفى له؛ لظهورِ أثرِ نعمةِ الله تعالى وتفضُّلهِ عليه بتبدُّلِ الحالِ عندهُ، وعندَ النَّاسِ مِن مَضَرَّةٍ إلى نعمةٍ، والشُّعُورِ بها، وأمَّا (النَّعْمَةُ والمَضَرَّةُ) فإنَّهما أعمُّ؛ لأنَّهما يَشْمَلانِ الباطنَ والظاهرَ⁽¹⁾، فعبَّرَ بالأخصِّ لمقتضى المقامِ.

الغرضُ مِنَ التَّعبِيرِ بِأسلوبِ الطَّباقِ في: ﴿نَعْمَاءَ﴾ و﴿ضَرَاءَ﴾:

عبَّرَ بِأسلوبِ الطَّباقِ لِلجمعِ بينَ الحالينِ المُختلِفين، وقد جاءَا مُتطابِقين زنةً تأكيداً على التَّضادِّ المُتَّبَتِّ انقِلابِ حالِ الإنسانِ مِن حالٍ إلى حالٍ مُبَايِنَةٍ لِلأوَّلَى، وذَكَرَ الإِضْرَارَ قَبْلَ الإِنْعَامِ؛ لأنَّه أَلَدُّ، وَجَمَعَ بينهما في صورةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ الضَّدَّ يَظْهَرُ الضَّدُّ، والإِنْعَامُ بِهِ أَظْهَرُ.

الغرضُ مِن حذفِ حرفِ الجَرِّ (مِن) في: ﴿بَعْدَ ضَرَاءَ﴾:

جاءَ ظرفُ الزَّمانِ بِنزَعِ الخافِضِ منه، فلم يُقَلْ: (مِنَ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتُهُ)؛ ليدلَّ على اتِّصالِ زَمَنِ الضَّرِّ بالقولِ؛ للإشعارِ بأنَّه قالَ: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ مع قَرَبِ عَهْدِهِ بالضَّرِّاءِ، لِيَكُونَ زيادَةً في توبيخِهِ، وإيذاناً بأنَّ قولَهُ ما هو إِلَّا خَفَةٌ وَطَيْشٌ⁽²⁾.

سُرُّ التَّعبِيرِ بِظرفِ الزَّمانِ ﴿بَعْدَ﴾:

لَمَّا كَانَ السَّيَاقُ في بيانِ لَذَّةِ النِّعْمَةِ وتذَوُّقِهَا عبَّرَ عن وقوعِ الإِذاقَةِ بعدَ مَسِّ الضَّرِّ؛ لِيُفِيدَ أَنَّ لَذَّةَ إِذاقَةِ النِّعْمَةِ على أَتَمِّهَا؛ لأنَّ الشُّعُورَ بِهَا عَقَبَ زَوَالِ ضِدِّهَا يَكُونُ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ، فيقتضي أن يَكُونَ الشُّكْرُ أَتَمَّ وَأَوْفَى⁽³⁾.

حُصُولُ الإِنْعَامِ
بَعْدَ الإِضْرَارِ أَلَدُّ
لِلْمَرءِ، وَأَنْفَعُ
لِلإِعتِبَارِ

طَيْشُ الْكَافِرِ
وَحَفَّتُهُ حِينَ
إِذاقَتِهِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ الضَّرِّاءِ

حُصُولُ النِّعْمَةِ
بَعْدَ الضَّرِّ،
يَكُونُ الشُّكْرُ بِهِ
أَتَمَّ وَأَوْفَى

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 10/31.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/234.

(3) رضا، تفسير النار: 11/274.

نكتة اختلاف السند إليه في الفعلين: ﴿أَذَقْتَهُ﴾ و﴿مَسَّهٖ﴾:

وَقَعَ الاختلافُ في السُّنْدِ إليه في الفعلين، فقد أَسْنَدَ الذُّوقَ إلى الضَّمِيرِ الدَّالِّ على التَّعْظِيمِ لوقوعِ الفعلِ على الرَّحْمَةِ والنَّعْمَاءِ؛ لِيُؤْذَنَ بِلَذَّتِهِمَا وَكَوْنِهِمَا مِمَّا يُرْغَبُ فِيهِ، وإِسْنَادُ الْمَسِّ إلى الضَّرَاءِ لِيَشْعَرَ بِكَوْنِهَا فِي أَدْنَى مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمُلَاقَاةِ مِنْ مَرَاتِبِهَا، فُضِيَ مُقَابِلَةَ التَّعْبِيرَيْنِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ إِصَابَةَ الضَّرَاءِ أَخَفُّ مِنْ إِصَابَةِ النَّعْمَاءِ، وَأَنَّ لُطْفَ اللَّهِ شَامِلٌ لِعِبَادِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

مُرَادُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ
الْيُسْرَ، وَمَا
يُنَالُهُمْ مِنَ الضَّرِّ
نِيْلًا يَسِيرًا،
هُوَ لُطْفٌ مِنْهُ
وَرَحْمَةٌ

كما أَنَّ فِي لَفْظِ الإِذَاقَةِ وَالْمَسِّ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ مَا يَجِدُّهُ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّعْمِ وَالْمِحَنِ كَالْأَنْمُودَجِ لِمَا يَجِدُّهُ فِي الْآخِرَةِ. كما أَنَّ إِسْنَادَ الإِذَاقَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَائِدِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِسْنَادَ الْمَسِّ إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ عَلَى الضَّرِّاءِ، فَلَمْ يَقُلْ: (مَسَّسْنَاهُ)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مُرَادَهُ تَعَالَى إِنَّمَا هُوَ إِيْصَالُ الْخَيْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ بِعِبَادِهِ الْيُسْرَ دُونَ الْعُسْرِ، وَإِنَّمَا يِنَالُهُمُ الضَّرُّ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ نِيْلًا يَسِيرًا، كَأَنَّمَا يُلَاصِقُ الْبَشَرَةَ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ، كما أَنَّ فِيهِ إِشْعَارًا بِأَنَّ مِنْ مَقَامِ الشُّكْرِ مُرَاعَاةَ الْأَدَبِ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَذَكَرَ الْمَسَّ الْمُنْبَيَّ عَنِ الضَّعْفِ؛ لِلإِشْعَارِ بِتَلَهُّفِ الْإِنْسَانِ لِلنَّعْمَةِ، وَرَغْبَتِهِ فِيهَا، وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهَا بِهَا، وَضَجَرِهِ مِنَ الضَّرِّ، وَعَدَمِ تَحْمَلِهِ لَهُ، وَإِنَّ مَسَّهُ مَسًّا خَفِيفًا. كما يَفِيدُ أَنَّهُ يَقَعُ فِي الْكُفْرَانِ وَالْبَطَرِ بِأَدْنَى شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْمَسَّ أَوَّلُ الْوُصُولِ⁽¹⁾.

الغرض من إسناد جواب القسم إلى القول في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

جُعِلَ جَوَابُ الْقَسَمِ هُنَا الْقَوْلُ، وَجُعِلَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا﴾؛ لِلإِشْعَارِ بِالْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ إِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ النَّعْمُ، وَهِيَ عَدَمُ ظَهْوَرِ الْكَلَامِ مِنْهُ لِعَمَلِهِ وَيَأْسِهِ، وَإِذَا

نَزُولِ الضَّرِّاءِ
يَحْبِسُ النَّاسَ،
وَحُضُورِ النَّعْمَاءِ
يُطْلِقُهُ

(1) البضاوي، أنوار التنزيل: 3/129، والبقاعي، نظم الدرر: 9/243، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/19.

أَذَاقَهُ اللَّهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ تَهَيَّجَ لِلْقَوْلِ، وَتَبَجَّحَ، وَتَفَاخَرَ، وَتَبَاهَى بِالنِّعْمَةِ أَمَامَ النَّاسِ⁽¹⁾.

الغرض من التعبير بالمجاز العقلي:

قوله: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾، أرادَ بالسَّيِّئَاتِ كُلَّ مَا يَسُوءُ مِنْ ضُرٍّ وفقرٍ ومَرَضٍ ومُصِيبَةٍ، بمعنى: ذَهَبَ الَّذِي يَسُوءُنِي، وَلَنْ يَعْتَرِيَنِي بَعْدُ أَمْثَالُهَا؛ فَإِنَّ التَّرْقُبَ لِرُورِدِ أَمْثَالِهَا، وَلَا سِيَّما فِي حَالِ النِّعْمَةِ مِمَّا يُكَدِّرُ السُّرُورَ، وَيُغْصُّ الْعَيْشَ. وإِسْنَادُ الذَّهَابِ إِلَى السَّيِّئَاتِ مِنْ بَابِ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى سَبَبِهِ، مُبَالَغَةٌ فِي بَيَانِ أَهْمِيَّةِ السَّبَبِ، وَأَنَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِهِمْ.

الغرض من الكناية في: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾:

أَفَادَ الْإِخْبَارُ بِذَهَابِ السَّيِّئَاتِ عَنْهُ مَعْنِيَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ وَالْكَنَائِي: أَحَدُهُمَا الْمَعْنَى الظَّاهِرُ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَذَاقَهُ اللَّهُ النِّعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ اعْتَقَدَ أَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَهَبَتْ عَنْهُ، وَلَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ لِلْإِزْدِهَاءِ وَلِلْإِعْجَابِ وَلِلتَّبَاهِي⁽²⁾.

دلالة التعبير بحرف الجر في: ﴿عَنِّي﴾:

لَمَّا كَانَ حَرْفُ الْجَرِّ (عَنْ) يُسْتَعْمَلُ لِلْمُجَاوِزَةِ أَشْعَرَ الْكَلَامِ بَأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ السَّيِّئَاتِ تَجَاوَزَتْهُ وَذَهَبَتْ، وَلَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِ﴿عَنِّي﴾ إِيضًا إِلَى اعْتِقَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَافِرِينَ أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنَّهُ تَذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَسُوءُهُ، غُرُورًا مِنْهُ بِنَفْسِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾⁽³⁾.

ترقّب ما
يسوء في حال
النعماء،
يكدّر السرور،
ويغص العيش

جمع المعنيين
الظاهر والكنائي
مفصّل عن
بلاغة السياق
ومقاصده

غرور الكافر أنه
حقيق به، أن
تذهب عنه كل
المصائب التي
تسوءه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/14.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/190.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/14.

شبه كمال الاتصال في الجملة المؤكدة بالأداة (إن):

قوله: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾، أفادت ﴿إِنَّهُ﴾ ربط الجملة التي بعدها بما قبلها على معنى بيان علة قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾، والمعنى بسبب شدة فرحه بالنعمة بعد الضراء التي مسته، وكثرة فخره بها، قال تلك المقولة التي وردت على سبيل ذم قائلها، لتباهي صاحبها وإعجابه بما حصل له، فكأنها في جواب سؤال تقديره: ما سبب قوله تلك المقولة، فجاء الجواب ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾⁽¹⁾؛ أي: بسبب اتصافه بهذين الوصفين اللذين صارا لازمين له، وتحتمل جملة ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ أن تكون استثناءً ابتدائياً؛ للتعجب من حاله⁽²⁾، وأفادت الآية أنه عند انتقال الإنسان من المحنة إلى النعمة، يكون الكافر فرحاً فخوراً؛ لأن منتهى طبع الكافر هو الفوز بهذه السعادات الدنيوية، وهو منكّر للسعادات الأخروية⁽³⁾.

سرّ مجيء تأكيدين في: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾:

أفاد التأكيد بـ ﴿إِنَّهُ﴾ واللام أن الجملة وقعت جواباً لمنكر⁽⁴⁾؛ بمعنى: أنه لما أذاقه الله تعالى النعمة بعد الضر الذي مسه اعتقد أن الذي أصابه من النعمة بجدّه واجتهاده، فهو باستحقاقه، ولا يراه من الله تعالى؛ جاء قوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾؛ للإشعار بأنه منكّر لأن يكون فرحه وتباهيه على الناس بغير حق، فجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ردّاً على ما يعتقده، ليؤذن بتوبيخه على كونه فرحاً فخوراً، وليفيد أنّهما قد ذكرا على جهة الذم، وأنه كان ينبغي أن يشكر الله بدلاً من أن يكون فرحاً فخوراً.

مُنْتَهَى غَايَةِ
الْكَافِرِ الْفَوْزُ
بِالسَّعَادَاتِ
الدُّنْيَوِيَّةِ؛
لِإِنْكَارِهِ
السَّعَادَاتِ
الْأُخْرَوِيَّةِ

على الإنسان
شكرُ الله بدلاً
من أن يكونَ
فرحاً فخوراً

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316 - 324.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/14.

(3) ابن عادل، اللباب: 10/445.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 171.

بلادة الإيجاز في الآية الكريمة:

نُسِجَتْ هذه الآية على هذا المنوال من الإجمال، فذكر فيها الإنسان مطلقاً، ولم يقيده بالكافر؛ لتذهب نفوس السامعين من المؤمنين في طرقي الحذر من صفتي اليأس وكفران النعمة، ومن صفتي الفرح والفخر كل مذهب ممكن⁽¹⁾.

دلالة الاستثناء بين الاتصال والانقطاع:

يحتمل أن تكون اللام للجنس في «الإنسن» - المستثنى منه - في قوله: «وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً»، فيحمل على الاستغراق لعموم الناس، فيكون الاستثناء «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا»: متصلاً، وهو قول كثير من النحاة والمفسرين، فيكون على منوال قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ»⁽²⁾ «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» [العصر: 2-3]، ويحتمل أن يحمل الإنسان على الكافر، فتكون (اللام) للعهد، ويكون الاستثناء منقطعاً، وتكون «إِلَّا» بمعنى (لكن) كأنه قيل: من ديدن الكافرين وعادتهم أن لا يصبروا على الضراء، ولا يشكروا على السراء، ولكن عادة المؤمنين الصبر والشكر⁽²⁾.

الغرض من التعبير بالموصول «الَّذِينَ» وصلته «صَبَرُوا»:

عبر بالاسم الموصول لتضمنه صلة تكشف سبب الاستثناء، ولما كان من معاني الصبر انتظار الفرج أوثر هنا وصف «صَبَرُوا» دون (آمَنُوا)؛ لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله: «إِنَّهُ لَيُؤَسُّ كُفُورٌ».

سر التعبير بالفعل غير مقيد في قوله «صَبَرُوا»:

لم يقيد الفعل «صَبَرُوا»؛ ليفيد العموم؛ بمعنى: أنهم صبروا على الضراء وعن الشهوات وعلى الطاعات⁽³⁾، وهو أبلغ في مدحهم، وأجلى لمكانهم.

تحذير المؤمنين
من الاتصاف
بأوصاف
الكافرين
المدومة

ديدن الكافرين
أن لا يصبروا ولا
يشكروا، ولكن
عادة المؤمنين
خلاف ذلك

مقابلة حال
المؤمنين
الصابرين،
بحال الكفار
اليائسين

الصبر معنى عام
يشمل الصبر
على الضراء
والشّهوات
والطاعات

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/14.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 8/27.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 10/33.

دلالة العطف في سياق جملي الصبر والعمل الصالح:

قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، دلَّ عطف قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على ﴿صَبَرُوا﴾ على تضمين الصبر معنى الإيمان؛ لأنَّ الأعمال الصالحة ضمنية الإيمان، ودلَّ ذكر الصبر على تضمين الأعمال الصالحات معنى الشكر؛ لأنَّ الشكر قرين الصبر، فكأنَّه ذَكَرَ هنا الصبر والشكر والإيمان والعمل الصالح، ففيه تكثيف في المعنى.. كما أنَّ الاستثناء من الكلام السابق يقتضيه، فإنه لما كان شأن الإنسان وموجب جبلته؛ أنه إذا أصابته الضراء بعد السراء لم يصبر، وإذا انقلبت هذه الحالة لم يشكر، استثنى منه المؤمنين، ولكنه وضع ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ موضع (المؤمنين) كناية؛ ليصرِّح بهذا المعنى لمناسبته للمقام ولاقتضائه له⁽¹⁾.

الشكر قرين
الصبر،
والأعمال
الصالحة
ضمنية الإيمان

دلالة التعبير بالاستثناء:

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، لما كان الاستثناء هو بمعنى الاستدراك مما مضى من الكلام دلَّ على أنَّ المراد من الإنسان أن يكون عند البلاء من الصابرين، وأن يكون عند الراحة والخير من الشاكرين.. ولما كان الاستثناء على معنى إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه دلَّ على أنَّ الذين صبروا وعملوا الصالحات مُتَّصِفُونَ بضدِّ صفات المستثنى منهم، وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين⁽²⁾.

التحذير من
الوقوع، فيما
يماثل صفات
الكافرين

الغرض من التعبير باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾:

لما كان اسم الإشارة عائداً إلى الاسم الموصول مع صلته في قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دلَّ على أنَّ سبب بناء الخبر على اسم الإشارة هو لأجل ما ذُكر في حيز الصلة، فأفاد أنهم استحقوا

عاقبة الصبر
والعمل الصالح
المغفرة والأجر
عند الله تعالى

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 8/27، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/33.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/323، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/15.

المغفرة والأجر الكبير لأجلِ مَا ذُكِرَ مِنْ وصفِهِم بالصَّبْرِ والعملِ الصَّالِحِ. وَلَمَّا كَانَ اسمُ الإِشَارَةِ «أُولَئِكَ» فِيهِ معنى البُعْدِ أَذِنَ بِعِلْوِ درجَتِهِمْ وَبُعْدِ مَنْزِلَتِهِمْ فِي الفضْلِ؛ أَي: أُولَئِكَ الموصوفون بتلك الصِّفَاتِ الحميدة لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ⁽¹⁾.

الغرض من التقديم والتأخير:

قوله: «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ»، وفيه تقديم الخبر «لَهُمْ» على المبتدأ «مَغْفِرَةٌ»، وَإِنْ كَانَ فِي عَرَفِ القَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ وَاجِبَ التَّقديم، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةِ الحَصْرِ الادْعَائِيِّ؛ بِمعْنَى أَنَّ أُولَئِكَ المذكورين فِي المَوْصُولِ وصلَّتْهُ هُمْ وَحْدَهُمْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ دُونَ اليُؤُوسِ الكُفُورِ والفَرَحِ الفَخُورِ؛ لِيفيدَ الحَصْرَ المبالغةَ فِي المدحِ، ولِتنبيةِ المؤمنينَ عَلَى المبادرةِ إِلَى الاتِّصَافِ بالصَّبْرِ والعملِ الصَّالِحِ.

دلالة التعبير بالجملة الاسمية المصدرة: «أُولَئِكَ»:

قوله تعالى: «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ»، وفيه أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» خَبَرًا عَنْ «أُولَئِكَ»، وَكَانَتْ الجُمْلَةُ اسْمِيَّةً مِنَ الطَّرْفَيْنِ؛ أَي: الجُمْلَةُ الكَبْرَى والصَّغْرَى دَلَّ هَذَا عَلَى تَقْوِيَةِ ثَبُوتِ المَغْفِرَةِ والأَجْرِ الكَبِيرِ لِلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَأْكِيدِهِ؛ لِأَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ اسْتِعْلَاءً عَلَى الزَّمَنِ واستمرارًا للحدث.

دلالة اللام في: «لَهُمْ»:

لَمَّا كَانَ حَالُ الكَافِرِينَ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا هِيَ الإِذَاقَةُ فَقَطْ، فَهِيَ لَا تَفِيدُ مُلْكًا لِشَيْءٍ وَلَا اخْتِصَاصَ بِهِ، فَغَايَةُ الدَّوْقِ أَقَلُّ مَا يُدْرِكُ بِهِ طَعْمُ المَطْعُومِ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى سَبِيلِ المِقَابِلَةِ؛ أَي: لَهُمْ

المبادرة إلى
الاتصاف بالصبر
والعمل الصالح
من الله تعالى

التعبير بالجملة
الاسمية
استعلاء
على الزمن،
واستمرار
للحدث

مجازاة الذين
صبروا وعملوا
الصالحات،
بتمام المغفرة
والأجر الكبير

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/190، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/15.

المَغْفِرَةُ والأَجْرُ الكبيرُ على جهة الاختصاص؛ لِما تَفِيدُهُ اللَّامُ في ﴿لَهُمْ﴾ مِنْ معنى الاختصاص؛ بمعنى: أَنَّهُمْ لَا يَكْتَفُونَ بِذوقِ المَغْفِرَةِ والأَجْرِ الكبيرِ فيفيدُ حصولَهُمْ على أَقلِّ الأمرِ، بل المَغْفِرَةُ والأَجْرُ الكبيرُ مُختَصَّانِ بِهِمْ، فتفيدُ اللَّامُ حصولَهُمْ على تَمَامِ المَغْفِرَةِ وتَمَامِ الأَجْرِ الكبيرِ.

دلالة الواو في: ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

لَمَّا كَانَتْ واوُ العطفِ على معنى الجمعِ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه؛ لِتَفِيدِ التَّشْرِيكَ في الحكمِ، دَلَّ على ثبوتِ حصولِ المَغْفِرَةِ والأَجْرِ الكبيرِ على سبيلِ الاجتماعِ.

فائدة تنكير: ﴿مَغْفِرَةٌ﴾:

أَفَادَ التَّنْكِيرُ تعظيمَ المَغْفِرَةِ؛ بمعنى: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ لِذُنُوبِهِمْ، وَإِنْ جَمَعَتْ (1).

بلاغة جملة التذييل في السياق الكريم:

قَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ جملة التذييل، حيث أَنَّهُ إِنَّهُ لَمَّا كَانَ غَايَةُ الفلاحِ هي الخلوَصُ مِنَ الأذى والضَّرِّ، وتحصيلَ الرَّحْمَةِ، والتَّرَفُّعِ بالنَّعْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ هَذَيْنِ المَطْلُوبَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا: زَوَالُ العِقَابِ والخَلَاصُ مِنْهُ، وهو المُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، والثَّانِي: الفَوْزُ بِالنَّوَابِ، وهو المُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (2).

توجيه المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي آيَتِي: سورة هود، وسورة فُصِّلَتْ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى هُنَا فِي سُورَةِ هود: ﴿وَلَيْنَ أَدْفَنَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿وَلَيْنَ أَدْفَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي

جَمَعَ التَّعَاطُفِينَ
تَأَكِيدُ عَلَى
حَصُولِ المَغْفِرَةِ
وَالْأَجْرِ مَعًا، لَا
أَحَدَهُمَا فَقَطْ

الصَّابِرُونَ
الشَّاكِرُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ
لِذُنُوبِهِمْ، وَإِنْ
تَكَاثَرَتْ

جَمَعَ اللهُ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
القِيَامَةِ زَوَالِ
العِقَابِ والفَوْزَ
بِالنَّوَابِ

مُنَاسِبَةُ التَّعْبِيرِ
لِمُنَاسِبَةِ المَقَامِ
فِي الْآيَتَيْنِ
الكَرِيمَتَيْنِ

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/190.

(2) الفخر الرَّازِي، مفاتيح الغيب: 1/377.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴿فُضِّلَتْ: 50﴾؛ ففيه زيادة ﴿مِنَّا﴾ وزيادة ﴿مِنْ﴾ في سورة فُصِّلَتْ عَمَّا في سورة هود:

وجهُ ذلك أنَّه لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة، وأمَّا سورة فُصِّلَتْ فتقدَّم فيها قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ [فُضِّلَتْ: 47] قطعاً بهم، وتنبئها على سوء مُرتكبهم، وقد عاينوا الحق، وضلَّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل من شركاء الله سبحانه، وأيقنوا وعلموا أنَّه لا محيص لهم ولا مفرٍّ؛ فلما تقدَّم ذكر الشُّركاء قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْفَنُهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُضِّلَتْ: 50]، فنبَّه تعالى بقوله: ﴿مِنَّا﴾ على أنَّ لا شريك له، ولا مُعطي غيره، وأنَّه لا يأتي العبد شيء من سواه سبحانه. ولما لم يتقدَّم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبية بقوله: ﴿مِنَّا﴾.

وأما زيادة: ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتُهُ﴾ [فُضِّلَتْ: 50] فمُناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة؛ لإفادته تعيين ابتداء زمن إذاعة النعماء من بعد إمساكهم بالضراء؛ ليكون أوثق في ظهور منَّة الله تعالى عليه، فناسب ذلك الزيادة. وأمَّا حذف (مِنْ) في سورة هود فقد تقدَّم أنَّه لإفادة اتصال زمن الضرِّ بالقول؛ للإشعار بأنَّه قال: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ مع قرب عهده بالضراء، كما أنَّ ما أطنب في سورة فُصِّلَتْ مما يتعلَّق بالتوحيد قد أوجز، فناسبه سقوط (مِنْ)، فجاء كلُّ على ما يُناسب ويحب، ولم يكن ليلائم كلاً من الموضوعين إلا ما ورد فيه⁽¹⁾.

وفي توجيه التشابه المذكور وجه آخر، وهو أنَّه في سورة فُصِّلَتْ بينَ تعالى جهة الرحمة، بقوله: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فُضِّلَتْ: 49]؛ فناسب ذكر ﴿مِنَّا﴾، وحذفه هنا اكتفاءً بقوله قبل: ﴿وَلَيْنَ أَذْفَنًا الْإِنْسَانُ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: 9]، وزاد ﴿مِنْ﴾ في سورة فُصِّلَتْ؛ لأنَّه لما حدَّ الرحمة وجهتها حدَّ الظرف بعدها؛ ليتشاكلا في التحديد، وهنا لما لم يذكر الأول، لم يذكر الثاني ليتشاكلا⁽²⁾.

(1) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/253.

(2) الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص: 223، والأنصاري، فتح الرحمن، ص: 259 - 260.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف

مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 20، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-17-3

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 20: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-17-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»